Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الأغواط من خلال الكتابات الفرنسية : (مونجان E.Mangin أنموذجا)

Laghouat through French writings (E.Mangin as model)

د. عبد القادر نايلي D . Abdelkader Naili
جامعة زيان عاشور الجلفة -الجزائر Ziane Achour University- Djelfa - Algeria
nailikader@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2018-07-25 تاريخ القبول : 2018-11-29

ملخص:

عرفت منطقة الأغواط كغيرها من مناطق الوطن حملة شرسة شنها العدو الفرنسي ضدها استكمالا لمشروعه التوسعي، حيث ذهب ضحية هذا العدوان ثلثي السكان، أي ما يفوق "2500 شهيد" من بين 3000 ساكن... وكانت الأغواط أول مدينة في العالم تعرضت للإبادة بالأسلحة الكيميائية. كما أن الاستدمار الفرنسي تكبد، في المقابل، خسائر بشرية وخيمة، رسخها جنده بمذكراتهم وذاكراتهم، فالمعلومات التي استقيناها حول المنطقة تم نقلها من مصدرها الأساسي وهو المجلة الإفريقية التي نشرت- ما دوّنه مونجان – في شكل مقالات قبل أن تُحول الى كتاب مستقل تحت عنوان1895 Notes sur l'histoire de Laghouat ، يروي لنا الكاتب من خلاله الوقائع والأحداث التي شهدتها المنطقة إثر الزحف الفرنسي للاستلاء عليها واحتلالها....

كلمات مفتاحية: تاريخ الأغواط؛ مقاومة الأغواط؛ مونجان؛ المجلة الافريقية.

Abstract:

The Laghouat region, as many other parts of the country, has been subjected to a ferocious campaign by the French enemy , in order to complete its expansionist project. Two thirds of the population, it means that more than 2,500 from 3000 inhabitants were killed as martyrs. Laghouat was the first city in the world to be destroyed by chemical weaponson the one hand. On the other hand, The French army had suffered heavy casualties, which were saved by their soldiers in their journals and their memories. our information about this historical fact is taken from" the African magazine (Revue Africaine), as an original source, which was published by (E. Mangin) in the form of articles before it became a book under the title (Notes on the history of Laghouat 1895) (Notes sur l'histoire de Laghouat 1895) .The author tells us the facts and events that took place in the region of laghouat.

Keywords: History of Laghouat; Resistance of Laghouat; Mangin; Revue Africaine

. مقدمة:

إن التعرف على تاريخ أي منطقة، من حيث الأصول والسلالات والقبائل والعروش ومختلف الأحداث التي مرت بها، يعد من أهم العمليات التي يسعى دائما كل باحث لتحقيقها، وهو يهدف أساسا إلى ربط ماضي هذه المناطق بأصولها، والذي يفيد في معرفة تغيراتها وتطوراتها من فترة إلى أخرى، ومن جيل إلى جيل، وهذه العملية تعد في حد ذاتها وسيلة لمعرفة حركية التاريخ .

ومن بين الذين اهتموا بهذه الأبحاث والدراسات، في الفترة المعاصرة، نجد الرحالة والمستكشفون، وفئة كبيرة من عناصر الجيش، الذين رافقهم الكثير من الباحثين والمهتمين الى الأقطار المستهدفة التي من بينها الجزائر، وقد حاول هؤلاء الاحتكاك بالسكان الاصليين واطلعوا، تقريبا، على كل فروع المعرفة، وتوصلوا إلى جمع آثار ومخطوطات ووثائق كثيرة عن الجزائر، وأسسوا الصحف والدوريات التي كانت تنشر ما توصلوا إليه من نتائج وما جمعوه من مواد، ومثال ذلك "*الجمعية التاريخية الجزائرية*" التي أنشأت "*المجلة الإفريقية*" سنة 1856م لنشر أعمالها وتدوين نشاطاتها المختلفة، وكانت الإدارة العامة للجزائر تمدهم بالمال وتوفر لهم إمكانيات التنقل والاتصال والاطلاع، وتساهم في طبع إنتاجهم...

ومن بين هؤلاء الباحثين والمهتمين بماضي أهالي هذه المنطقة وحاضرها، في ذلك الحين، الملازم مونجان E.Mangin، الذي اهتم بمنطقة الأغواط ونشر حولها عدة مقالات تضمنتها المجلة الإفريقية في أعداد مختلفة، تعرض من خلالها الى تاريخ المنطقة والتعريف بالسكان الأولين للمدينة (أصلهم، نسبهم، تفرعاتهم، ومواطن استقرارهم، وعاداتهم وتقاليدهم ...الخ، والى ما تعرضوا اليه من أحداث ونكبات خاصة على يد الاحتلال الفرنسي).

وقد اعتمد مونجان، في ما نقله من معلومات حول المنطقة، على المراجع الموجودة كابن خلدون، والشواهد الأثرية، والشهادات الحية من الموثوق بهم من المثقفين وأعيان البلاد، وما كتبه غيره من الفرنسيين وما عاينه وعاصره من أحداث. وقد نشرت له المجلة الإفريقية ما تم تدوينه ضمن أعداد ثلاثة هي: العدد 37 الصادر سنة 1893، والعدد 38 الصادر سنة 1894 والعدد 39 الصادر سنة 1895، تجاوز عدد صفحاتها245 صفحة، وقد تم جمع هذه المقالات في كتاب تحت عنوان(1895) Notes sur l'histoire de Laghouat، تمت طباعته ونشره من طرف.Alger, Jourdan, 1895 كما تمت اعادة طبعه من طرف مؤسسة Kessinger Legacy Reprints بمونتانا بالولايات المتحدة الأمريكية...

فكيف تناول الكاتب هذا الموضوع؟ وكيف كانت رؤيته لهذه الأحداث التي مرت بها المنطقة؟ هذا ما نتطرق إليه من خلال المعلومات التي استقيناها من مصدرها الأساسي وهو المجلة الإفريقية التي نشرت- ما دوّنه مونجان – في شكل مقالات قبل أن تُحول الى كتاب مستقل، كما ذكرنا، ونأمل أن تشكل هذه الدراسة اضافة جديدة للدراسات السابقة حول المنطقة خاصة فترة الاحتلال الفرنسي، بحكم أن صاحبها عاصر هذه الأحداث وشهد وقائعها.

2. منطقة الأغواط قبل الاحتلال الفرنسي:

إن أول مقال تم نشره (لمونجان) ظهر في العدد 37 سنة 1893 في ***المجلة الإفريقية***، وفيه تطرق الكاتب الى تاريخ منطقة الأغواط، حيث بدأ بتحديد موقع الواحة جغرافيا، مبينا طبيعة تضاريسها وما تتوفر عليه من مواد أولية (خاصة فيما يستغل كمادة أولية للبناء..)، وكذا المجاري المائية التي تعبر المنطقة، كواد مزي وواد جدي... الخ محددا منابعها ومصباتها، وكيفية استغلالها في السقي والري وغيره...[1] ثم انتقل الى وصف المدينة، حيث يقول بأنها كانت محاطة بسور توجد به قلعتين (أو حصنين)، أحداهما في الشمال الشرقي (قلعة موروند Morand)، والثاني في الجنوب الغربي (قلعة بوسكارين Bouscaren)، بالقرب من ضريح المرابط الحاج عيسى الذي يعتبر أصل وجود المدينة. كما تطرق لطريقة بناء سكنات الأهالي والمواد الأولية المستعملة...[2] وفيما يتعلق باستغلال السكان لمياه الأمطار، يقول أنه تم بناء سدين في الناحية الشمالية، وبعد احتلال المدينة تم بناء سد ثالث لدعم عملية السقي في الواحة الجنوبية، هذه الواحات التي كانت تحوي الكثير من الأشجار المثمرة كالعنب والتين والرمان وغيره الى جانب التمور التي تعتبر مادة غذائية واقتصادية أساسية للسكان، كما بين كيفية استغلالها وأنواعها.. هذا إلى جانب النباتات البرية التي تنمو بالمنطقة كأشجار البطم والسدرة والحشائش المختلفة... الخ، والتي لها علاقة باستهلاك السكان (في صنع الأثاث، وكوقود، واستغلالها في الرعي ... وغيره).[3]

3. وصف دائرة الأغواط في ظل الاحتلال الفرنسي:

يذكر الكاتب بأنها كانت تشتمل على القصور التالية: العسافية، قصير الحيران، الحويطة، عين ماضي وتاجمونت. أما القبائل التي تقطنها فهي: قبائل المخاليف، لزرق، المخاليف الجرب Djorb، الأرباع وتحدها دائرة الجلفة من اشمال ، بسكرة من الشرق، وغرداية من الجنوب، وأفلو من الغرب والدائرة مقسمة الى بلديتين، بلدية

مختلطة، وأخرى خاصة بالأهالي، وقائد المنطقة هو الذي يدير شؤون البلديتين بمعية مجلس بلدي مكون من البلديتين.

وكان يقطن بلدية الأغواط المختلطة في 1889م حوالي 3839 ساكن و519 أوروبي بما في ذلك فئة اليهود و 3320 مسلم من التونسيين والمغاربة، أما مساحتها فقد بلغت 262 هـ .أما البلدية الأهلية فكان يقطنها 13463 مواطن (مسلم)، ومساحتها تقدر بـ: 3.415.000 هـ مقسمة الى 18 ملحقة مكونة من مصالح خاصة.[4]

4. أصل السكان وأماكن تواجدهم:

حول أصل السكان الذين استوطنوا المنطقة، يذكر الكاتب بأن هناك غموض حول أصولهم، فالرومان أنفسهم يعترفون بأنهم لم يرسلوا الى المنطقة الا إرسالات قليلة، ويعتبرون كل سكان شمال افريقيا نوميديون Numides (أي رحل متجولون). كما يذكر بأن من تعاقبوا على هذه المنطقة قد يكونوا كذلك لهم أصول آسيوية واخرى أوروبية، إضافة الى البربر ثم العرب الذين فرضوا وجودهم ولغتهم وعاداتهم.

إلى جانب ذلك يتطرق الى أماكن تواجد القبائل التي استقرت بالمنطقة وطبيعة نشاطها، وكيفية تعاملها مع بعضها البعض خاصة سكان البوادي، أما سكان القصور، فيقول:" بأن أغلبهم من البربر الذين كانوا يستثمرون الواحات والقيام بأعمال التجارة...الخ."[5].

5. الأحداث التي مرت بها المنطقة قبل الحملة الفرنسية:

تطرق الكاتب، في نفس العدد، لفصل كامل حول قدوم الولي الصالح الحاج عيسى[6] سنة1698 م، الذي استقبلته المدينة والتف حوله السكان واستطاع أن يضع حدا للخصومات ويجمع الشمل.[7] وهناك اشارة الى حملة قادها السلطان مولاي عبد المالك[8] ملك المغرب سنة 1708 والتي وصلت الى الأماكن الغربية من منطقة الأغواط.

يعود بنا الكاتب، بعد ذلك، الى التقسيم الذي كانت عليه المدينة والقبائل التي تقطنها حيث أصبح لكل منها إدارتها الخاصة وسوقها ومسجدها الخاص، وما كان يحدث بينها من نزاعات من حين لأخر (مما يدل، ربما، على عدم التفاهم والتجانس بين القبائل).[9] ويذكر بأنه حدث في سنة 1736 أن لجأت فرقة (أولاد بكرة Les Ouled Bakhra) من بني ميزاب الى الأغواط فارة من الفتنة التي مست منطقتهم، وكانوا حوالي 40 عائلة، مما أدى الى خلق اضطرابات بينهم وبين السكان المحليين انتهت بطردهم بعد صراع دام لعدة سنوات(أي الى غاية سنة1741). وحسب الكاتب دائما فإن خلافا وشجارا آخر نشب سنة 1752 بين أولاد يعقوب والأرباع حول المراعي، حيث انحاز بني الأغواط الى الأرباع في حين استنجد بني يعقوب ببني ميزاب وفرسان من المخاديم (Mekhadimes) من سعيد عتبة والبواعيش والقوم من جبال عمور، واتجهوا جميعهم نحو بني الأغواط المدعومين من أولاد نايل وأولاد يحي بن سالم والمخاليف والنويرات (Nouirat) والتقى الجمعان عند مغدر داهم (Maghdeur Dahm) بالقرب من ضريح سي الحاج عيسى، ويسترسل الكاتب في وصف المشادات التي انتهت بانتصار بني الأغواط .[10]

ومن الأحداث التي عرفتها المنطقة أيضا أنه في سنة 1785 أعلن باي وهران محمد الكبير[11] أنه ينوي التوجه الى منطقة الأغواط المتمردة عن السلطة العثمانية وعدم دفعها للضرائب التي عليها، وقد واعد داي الجزائر بذلك مشترطا عليه أن تكون تحت إمرته ... وهكذا توجه بحملته، بداية، نحو عين ماضي التي حاصرها بجنود، فلم ير سكانها بُدا من الاستسلام حيث لم يكونوا قادرين على المواجهة، الأمر الذي جعل المرابط سيدي أحمد بن سالم التجاني[12] يقبل بالأمر الواقع ويخضع لأوامر الباي الذي فرض عليه ضريبة سنوية قدرها 148 ريال. بعدها توجه نحو تاجمونت وأبعد زعيمها علي بن بوبكر وعين مكانه علي بن العربي، ثم أرسل برسالة الى بني الأغواط يطلب منهم الخضوع والإذعان ويأمرهم بدفع ضريبة سنوية، الأمر الذي جعلهم يستنكرون ذلك ورفضوه بشدة ودعوا الى التصدي للحملة وعدم الخضوع، فارسلوا الى كافة المناطق المجاورة يطلبون يد العون للوقوف في وجه الباي... وهكذا بدأت الاستعدادات في المدينة على أوجها لتحصينها وغلق كل المنافذ أمام الجنود الأتراك. ولما علم الباي بالخبر سار نحو الأغواط وخيم بالقرب منها وباشر في دراسة المدينة (من حيث تحصيناتها ومناطق القوة والضعف فيها) من أجل اعداد خطة لمهاجمتها، التي لم تدم طويلا. وكان الهجوم كارثيا على السكان الذين لم يصمدوا امام قوات الباي، وسقط الكثير من القتلى والجرحى، وتم أسر العديد من الأشخاص، كما فرت أعداد هائلة من المدينة في جنح الظلام تحت ضغط ضربات الجيش التركي.[13]

وفي ظل هذه الظروف المأسوية بعث الباي برسالة إلى من بقي من السكان يطلب منهم مغادرتها بأمان، الا أنهم طلبوا البقاء في المقابل الإذعان الى كل ما يطلب منهم فعله. وبعد أن أملى الباي شروطه المتعلقة أساسا بدفع الضريبة السنوية عاد الى وهران، إلا أنه في العام الموالي امتنع بني الأغواط عن دفع الضريبة، مما جعل الباي يعد حملة أخرى سنة 1786 لمعاقبة السكان، بدأها من عين ماضي التي لم يستطع السيطرة عليها، هذه المرة، لتحصيناتها واستماتتها في الدفاع،

إلا أنه انتقم من الأهالي بإتلاف المحاصيل وقطع وحرق الأشجار، وبعد حصار دام شهرين توجه نحو تاجمونت وقام بمطاردة سكانها لإجبارهم على الطاعة والولاء.[14]

وفي سنة 1787 عزم الباي عثمان خليفة محمد الكبير على الثأر من عين ماضي، فقام بمحاصرتها وهدد السكان ان هم قاموا بجني المحاصيل ومنعهم من ذلك. ولتفادي كل الأخطار خضع السكان لشروط الباي ودفعوا ما تم فرضه عليهم من ضريبة. وهكذا تتواصل الأحداث التي عرفتها المنطقة مع السلطة العثمانية التي تمرد عنها السكان ولم يستجيبوا لشروطها.

كما حصلت نزاعات سنة 1820 بين القبائل التي تقطن المنطقة حول توزيع المياه، وشجارات أخرى بقصر الحيران بين رحمان (المطاليع Metalie) وأولاد سالم مما أدى الى سقوط قتلى من رحمان الأمر الذي جعل البقية منهم ترحل من العسافية. وهكذا بقيت المشاكل العالقة بين القبائل التي تقطن المنطقة تُثار من حين لأخر مما أسفر على العديد من الضحايا، تركت وراءها الكثير من المآسي (أرامل، أيتام ومشردين..) [15]

ومن الأحداث والتطورات الخطيرة التي عرفتها المنطقة، أنه في سنة 1837 ظهرت شخصية الحاج العربي من أولاد سرقين وهو ينحدر من سلالة سي الحاج عيسى وكان على خلاف مع أحمد بن سالم حول بعض الممتلكات مما جعله يُطرد بإذلال من الأغواط، فاتجه نحو زنينة (الإدريسية حاليا)، ومنها اقترح على الأمير عبد القادر أن يساعده في أن يصبح خليفة على الصحراء في مقابل أن يكون له يدا على خصومه في المنطقة، فاستجاب له وأمده بالسلاح والذخيرة و70 جنديا لتأمينه وحراسته، فتوجه بعدها الى سيدي بوزيد وتحالفت معه قبائل أولاد خليف وسي محمد الصغير التيجاني مرابط عين ماضي فسار نحو الأغواط وخيم بالقرب منها فانحاز اليه أولاد سرقين ثم تبعهم الأرباع. أما أحمد بن سالم فقد انسحب مع جماعته واتجهوا نحو زوج ابنته بن ناصر بن شهرة[16]) قائد الأرباع، إلا أن شعر بانعدام الأمن فخاف على نفسه وفر الى بني يزقن (عند بني ميزاب).[17]

وفي 1838 توجه الامير عبد القادر الى عين ماضي لإخضاعها لسيطرته، وضرب عليها حصارا، وفي هذه الأثناء قام أحمد ين سالم بإرسال 100 فارس يقودهم أخوه يحي بن معمر لمؤازرة المقاومة التيجانية، فما كان من الأمير إلا أن عرض عليه بأن يمنحه حق العودة الى الأغواط ويضع أخاه على رأس جند الخليفة، فعاد بعدها الى الأغواط، إلا أن الخلافات بين الطرفين جعلت هذا الحصار يبوء بالفشل، خاصة وأم الأمير كان في صراع مع الاحتلال الفرنسي الذي عقّد الأمور إلى غاية ان انتهى باستسلامه.[18]

وهناك رواية رواها الكاتب مفادها أن موقعة جرت بين الحرازلية والأرباع كانت بطلتها فتاة ذكية وجريئة (من الحرازلية) تدعى مسعودة حيث قلبت الهزيمة الى نصر بعد ان اعتدى الأرباع عليهم في موطنهم بقصر الحيران، إلا إنه لم تمض أياما قليلة حتى قام أحمد بن سالم بمهاجمة القصر وقتل يحي بن معمر على يد خادمه حتى لا يلطخ يده بيد خائن كما قال، وحين وصل الخبر الى الأمير عبد القادر اشتد غيضه وأقسم بأن يقتلع أعين كل من يسقط في يده من بني الأغواط ويسلخ جلودهم ويصنع منها الطبول[19]

ويذكر الكاتب بأنه في هذه الظروف بلغ صدى الانتصارات التي حققها الجيش الفرنسي تخوم الصحراء، مما جعل أحمد بن سالم يقتنع بأنه إذا أراد أن يحمي نفسه من هجمات الأمير مستقبلا، وتبقيه على رأس السلطة، عليه أن يلجأ الى فرنسا ويحتمي بها...

6. استراتيجية الاحتلال الفرنسي للاستلاء على المنطقة:

في مارس 1844 وصل الجنرال ماري مونج (Marey Mange) [20] قائد مقاطعة المدية الى قصر زكار بالقرب من جبل السحاري على رأس جيش يقدر بـ 1500 جندي، فسارع أحمد بن سالم بإرسال مجموعة من الأحصنة وبعث أخاه على رأس وفد لإعلان الولاء وطالبا من الجنرال تمكينه من الخلافة على منطقة الأغواط التي سيتم اخضاع كل عروشها لخدمة فرنسا، حيث يقول في رسالته: "*كل السلاطين المسلمين الذين وُكلت امرهم خذلوني وخرجوا عن طواعيتي فربما أجد لدى فرنسا حكما عادلا ومنصفا*". فكانت الفرصة سانحة لفرنسا، حيث وافق الجنرال بيجو - بعد استشارته في الأمر- حيث كان ينوي التوسع على حساب الصحراء لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية، وتُسهّل عليه القضاء على غريمه الأمير عبد القادر الذي كان يقف أمام توسعاته في الجنوب. وهكذا جاءت الاوامر الى ماري مونج لتجهيز حملة عسكرية تستهدف المناطق التي لا زالت تساند مقاومة الأمير وترفض الخضوع لفرنسا، فتوجه هذا الخير الى الأغواط حيث وطد علاقاته مع يحي بن سالم الذي أصبح مواليا للفرنسيين. ثم سار بجيشه نحو الثوار الموالين للأمير، فدارت بنهم معارك واشتباكات ضارية أدت الى خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات. بعدها جاءت الأوامر من القيادة العليا بالجزائر تأمر ماري مونج بالعودة والتأهب للحرب ضد المغرب.[21]

في 1846 تم انضمام أولاد نايل بزعامة سي الشريف بن لحرش الى الأمير عبد القادر وانحازت اليه كل القبائل بالمنطقة باستثناء أحمد بن سالم الذي بقي مواليا لفرنسا، أما جلول بن يحي آغا جبل عمور فبقي

أمره غامضا ولم يحرك ساكنا للتعاون مع فرنسا وكان ضد استسلام الأمير الذي كان مطاردا من قبل الجنرال يوسف (Yusuf)[22]، مما جعل هذا الأخير يأمر الدوق دومال(Duc d'Aumale)[23] بإقالته ووقفه، فدبروا له مكيدة وتم القيض عليه ثم سجنه بالمدية واستبدل بشخص آخر يسمى المسعود الذي أصبح تابعا لخليفة الأغواط .[24]

وفي سنة 1837 تحرك ماري مونج بجنوده باتجاه جنوب المدية حيث قام موسى الدرقاوي[25] (الملقب ببوحمار) بإثارة السكان وأعلن القتال ضد الفرنسيين وكانت تمثلهم نسبة كبيرة من بني الأغواط وأولاد نايل. ولما فشل فر الى مسعد ومنها الى متليلي. وفي نفس الفترة ظهرت خلافات بين أحمد بن سالم وبن ناصر بن شهرة آغا الأرباع حيث أن أبا هذا الأخير تعرض لمحاولة قتل من طرف أنصار بن سالم الذين كان يقودهم الطيب بن مقواس، مما جعل بن ناصر يعزم على الثأر.[26]

في سنة 1847 حدثت اضطرابات كبيرة بين قبيلة الأرباع، فانقسموا الى قسمين أحدهما انحاز الى بن ناصر بن شهرة والآخر مع الطيب بن معمر، فتوجه بن ناصر مع بعض اتباعه الى الجنرال ماري مونج المقيم (بالحمام) واشتكى له من ظلم خصمه أحمد بن سالم، الا أن الجنرال الذي سئم من هذه الشكاوى المستمرة، جعله يقيل بن ناصر. كما حدثت في ربيع 1849 ضجة كبيرة، بدأت تنتشر جنوب المدية، مفادها أن (موسى بوحمار) قد دخل الى الأغواط واستقبل بحفاوة كبيرة من قبل السكان، وأن الخليفة أرسل له هدايا ثمينة، وتزامن ذلك مع اندلاع انتفاضة الزعاطشة بقيادة بوزيان، ولكي تعم المقاومة وتأخذ طابعا دينيا، أرسل هذا الأخير يطلب من الزوايا المدد للوقوف معه ضد الاحتلال الفرنسي الذي يستهدف المنطقة. فأخذ (موسى بوحمار) مجموعة من المتطوعين لمؤازرته. وفي المقابل قام التلي بن لكحل (الذي كان أحد آغاوات الأمير) بإثارة بعض العشائر من أولاد نايل من بينهم أولاد سي أحمد، وسار بهم نحو مسعد، إلا انهم لم يكن يوسعهم الالتحاق وتعذر عليهم الوصول[27].

وفي ظل هذه الظروف والأحداث المتنامية في منطقة الجنوب، والتي كانت تنذر بخطر داهم بالنسبة لفرنسا، أمر الحاكم العام بتشكيل فرقة عسكرية أوكلت مهمتها للجنرال دولادميرول[28] (De Ladmirault) لمتابعة الأحداث ومراقبة الوضع عن كثب، وفي ذات الوقت أصبح أحمد بن سالم فاقدا للسيطرة وكثر أعداؤه، ولم يصبح بوسعه السيطرة على مجريات الأمور، الأمر الذي جعله يتوجه الى الجنرال بلونجيني (Blangini) الذي طمأنه وجدد الثقة فيه وأمره بأن يُبقي على بن ناصر آغا على الأرباع.[29]

وقد أضفت أنباء سقوط الزعاطشة على منطقة جنوب المدية نوعا من الهدوء والاستقرار، وتم في ذات الوقت اطلاق سراح سي الشريف بن لحرش الذي كان سجينا ببوغار، ليكون زعيما على عرش أولاد نايل والتخلص من غريمه التلي بن لكحل الذي كان يثير البلبلة ويحرض الجماهير ضد فرنسا، وهكذا تسلم ين لحرش زمام الأمور في ربيع 1850 وأصبح آغا على أولاد نايل بصفة رسمية.[30]

وفي سنوات 1850-1851 عرفت المنطقة جملة من الأحداث بين قبائل اولاد يحي بن سالم، أولاد ساعد بن سالم وأولاد نايل وغيرهم من أهالي المنطقة، بسبب جمع الضرائب التي امتنع السكان عن دفعها، وأصبح الوضع ينذر بالخطر، وأمام هذه التطورات تم تشكيل فرقة عسكرية استطلاعية بالمدية تحت قيادة الجنرال دو لادميرول، واتجهت نحو الجلفة، وهنا اجرى الجنرال تحقيقات أثبتت تجاوزات خطيرة للخليفة نتيجة شجعه من خلال جمعه للضرائب، مما جعل الجنرال يؤنبه وينهاه عن ذلك.[31]

وكان للأحداث التي عرفتها المنطقة جراء ظهور الشريف محمد بن عبدالله[32] في ورقلة واعلانه لمقاومة المد الفرنسي الذي يستهدف منطقة الجنوب تفاعل كبير من قبل أهالي منطقة الأغواط خاصة خصوم أحمد بن سالم الذي يرون فيه عميلا للفرنسيين.

7. الحملة الفرنسية على الأغواط ونتائجها:

وفي خضم هذه الأحداث قام الجنرال يوسف بلفت انتباه الحاكم العام الى خطورة هذه الوضع و مدى تأثيره على مستقبل السياسة الفرنسية، مما يستوجب إنشاء قوة عسكرية قادرة على مواجهة هذه القبائل الثائرة وفرض الهدوء والاستقرار.[33]

وهكذا بدأت فكرة احتلال الأغواط تتبلور، وتأكد لدى المارشال راندون[34] (Randon) بأنها الوسيلة الوحيدة لقمع الانتفاضة في الجنوب وفرض السيطرة عليه...

ومن ثم بدأ الجنرال يوسف في التحقيق فيما يحدث في المنطقة ويتابع تطوراتها، التي اهتدى من خلالها الى التذمر الكبير من طرف الأهالي ضد التدخل الفرنسي في شؤونهم ومن من نصبتهم حلفاء لها، وتعاطفهم ومؤازرتهم للانتفاضات التي اعلنت مقاومتها للاحتلال، وهذا ما جعل الأمور تتعقد أكثر بالنسبة لفرنسا مما جعلها تفكر بجدية للسيطرة على الأغواط، وبدأ التحضير للتوجه اليها بجيش كبير وعتاد حربي ضخم للقضاء على المتمردين والمحرضين على العصيان وفرض سيطرتها على المدينة واخضاعها لنفوذها بشكل مباشر.

وفي منتصف نوفمبر 1852، وبعد ان أعد الجنرال يوسف العدة سارت بجيشه (الذي يحوي كافة التشكيلات الحربية) نحو الأغواط، والتحق به الجنرال بيليسي (Pellissier) ثم الجنرال بوسكارين (Bouscaren)، على رأس قوات هائلة، سُخرت للاستحواذ على المدينة دون ادنى اعتبار لما يقطنها من أبرياء وما تحويه من ممتلكات، همها الوحيد الانتقام من السكان الذين خرجوا عن طواعيتها، بل وساهموا في نصرة أعداءها ممن دعوا إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي في المنطقة كمحمد بن عبد الله وغيره. وهنا بدأ الكاتب يسرد تفاصيل هذا التدخل السافر، منطلقا من أول يوم تم فيه السير نحو المنطقة، الى أن وصلها، ثم كيفية التحضير والإعداد للهجوم على المدينة، التي لم تستطع الصمود أمام القوات الهائلة التي تم حشدها لهذا الغرض، مما أدي الى سقوط المدينة التي تعرضت، إثر ذلك، الى التدمير والتخريب وقتل وتشريد ... وهكذا تم الاستحواذ على المدينة لتصبح فيما بعد تابعة لمقاطعة المدية وتزود بملحق إداري تابع للمكتب العربي.[35]

8. خاتمة:

إن دراستي المتواضعة لما ورد في كتابات (مونجان) حول منطقة الأغواط، جعلني أقف على بعض الحقائق الهامة، حيث توصلت إلى أن الفرنسيين قد كتبوا الكثير عن الجزائر وتناولوا تقريبا كل فروع المعرفة، بالإضافة إلى ذلك أسسوا الصحف والدوريات التي كانت تنشر ما توصلوا إليه من نتائج وما جمعوه من مواد، ومثال ذلك "الجمعية التاريخية الجزائرية" التي أنشأت المجلة الإفريقية لنشر أعمالها وتدوين نشاطاتها المختلفة.

ومن خلال اطلاعي المحدود على بعض ما كتبه هؤلاء الكتاب والباحثون، استطعت التأكد من أمر هام، أشار إليه بعض المؤرخين أمثال الدكتور أبو القاسم سعد الله قبل ذلك، هو كونهم لم يكونوا مؤرخين بالمعنى الاختصاصي، حيث كان معظمهم من الهواة، ومن كتاب الثقافة العامة والانطباعات والمذكرات والتقارير الرسمية، وقد رأينا أنهم في الفترة الأولى كانوا ضباطا عسكريين يجمعون بحماس شديد كل ما تقع عليه أيديهم من مصادر مكتوبة أو شفوية، ومن آثار قديمة وحديثة، وهدفهم من ذلك الوصول إلى فهم السكان الذين يحكمونهم.

وعليه فإن دراسته تاريخ الجزائر لا زالت تحتاج الى جهد كبير وبحث عميق في مختلف المصادر للتوصل الى حقائق لا زالت البحوث والدراسات الراهنة لم تكشف عنها بحكم أن ما تناوله الفرنسيون حول تاريخ بلادنا لم يتعد كونها كمنطقة جغرافية من العالم تداولت عليها الدول والشعوب، وليس في نظرهم "شعب" أو "أمة" أو "كيان" أو "مجتمع متماسك" ولا تخضعها إلا القوى الكبرى كالرومان، والأتراك، والفرنسيين.

9. قائمة المراجع:

المقالات:

1-Mangin (E), Note sur l'histoire de Laghouat**, Revue Africaine, N° 37, année , 1893. pp 355 -396.**

2-Mangin(E), Note sur l'histoire de Laghouat**, Revue Africaine,N° 38 année ,1894. pp79 -108 et pp 273 – 324.**

3-Mangin(E), Note sur l'histoire de Laghouat**, Revue Africaine,N° 39 année ,1895.pp 05 –53 et pp 109 -163.**

مواقع الانترنيت:

لغواطي، *نسب سيدي الحاج عيسى الأغواطي، نشر في 02-10-2014، الموقع:*

http://sidielhadjaissa.over-blog.com/article-124701866.html

- كاتب غير معروف، *سيدي أحمد التيجاني*، نشر في *04*– 09-2017، الموقع:

http://www.tidjaniya.com/ar/sidi-ahmed-tidjani/vie-sidi-ahmed-tidjani

- http://babelouedstory.com/voix_du_bled/yusuf/yusuf.html

- https://sites.google.com/site/laghouatmg03/

- https://fr.wikipedia.org/

القواميس:

- **L'Annuaire Historique et Biographique de Souverains** publié par l'Administration des archives historiques à Paris (rue Richelieu, 95)1844.

7. هوامش:

1-Revue Africaine, N° 37 , Année 1893 , pp. 355-360

2-Idem, pp : 361-362

3-Idem, pp : 362-364

4-Idem, pp 364-366

5-Idem, pp 366-375

6- ولد الحاج عيسى سنة 1668 م بمدينة تلمسان و هو معروف كثيرا بالحاج عيسى لغواطي مؤسس مدينة الأغواط و دفينها و له مزار معروف في المدينة فهو صاحب كرامات عظام وكان له باع طويل في الإنشاد الملحون على طريق إشارة الأولياء و من أولاده قاض الأغواط الشيخ سيدي البشير بن احمد و ابن عمه سيدي محمد بن إبراهيم كان بمحكمة مسعد و من ذرية سيدي الحاج عيسى لغواطي فرع يسمون أولاد سيدي الحاج بن حليمة المدفون بالسوقر ولاية تيارت كذلك توجد فرقة من ذرية سيدي الحاج بن عامر بجيجل تعرف بـ: أولاد بوشريط منهم العلامة الجليل القاضي سيدي محمد بوشريط كان قاض بمدينة عنابة و فرقة بالجعافرة بولاية سعيدة و أخرى بسبدو بـ: أولاد ميمون بولاة تلمسان ... أنظر للمزيد الرابط التالي:

http://www.sidielhadjaissa.com/article-124701866.html

-**Revue Africaine**, N° 37 , Op.cit. , pp 376- 3807

8- تذكر المصادر أنه في عهد يوسف باشا (1650-1647) م قام السلطان المغربي مولاي محمد بالسيطرة على تلمسان ووجدة، ووصلت سيطرته حتى عين ماضي والأغواط، التي لم تخضع إلا لفترة مؤقتة، مما أدى إلى مجيء السلطان المغربي مولاي عبد المالك بنفسه سنة 1708 م واخضاع المدينة بعد قتال مرير. و بحلول عام 1727 م عادت الأغواط إلى سلطة العثمانيين بعد تدخل جيوش باي المدية شعبان زناغي الذي فرض علىها ضريبة سنوية قدرت بسبعمائة (700) ريال. أنظر الرابك التالي:

https://sites.google.com/site/laghouatmg03/

3.38-3819-**Revue Africaine**, N° 37, Op.cit. , pp

10-Idem, pp 384-386.

11- **الباي محمد الكبير**، هو أبو عثمان الفقيه المجاهد السيد محمد بن عثمان باي الإيالة الغربية و تلمسان، يرجح انه ولد ما بين 1734 و 1739، تولى خلافة باي الغرب الجزائري 1769- 1779 ثم بايا للغرب الجزائري 1779-1797 حيث عمل على تنظيم ديوانه، و كان وراء جميع النشاطات العسكرية التي حركها الباي ضد الأسبان بوهران و القبائل العاصية بباييلك الغرب أو خارجه..توفي يوم 15 نوفمبر 1797... قام باي وهران الباي محمد الكبير سنة 1785 بمحاصرة مدينة الأغواط التي لم تستسلم إلا بعد معارك عنيفة، وطلب علماء المدينة الأمان من الباي، شرط دفع ضريبة حرب قدرت بمائة (100)عبد وثلاثمائة وخمسين (350) بعير وخمسة آلاف (5000) بوجو وأربعة أحصنة، بالإضافة إلى ذلك عيّن قائدين على المجموعتين البارزتين في الأغواط، فنصب أحمد بن لخضر قائدا على (أولاد سرغين) والسائح بن زعنون قائدا على(أولاد الأحلاف... للمزيد انظر، ابن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785، دار السويدي للنشر والتوزيع ، بيروت، وكذا المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الإمارات، 2004.

12- **حمد بن سالم التجاني**: ولد سنة 1737 م بقرية عين ماضي على تخوم الصحراء الجزائرية وهي بلده و مقر أسلافه.. لم يكتف سيدي أحمد التجاني بالرصيد الفقهي والصوفي الذي حصل عليه بمسقط رأسه ، فشد الرحال إلى مدينة فاس سنة 1171هجرية الموافق 1758ميلادية وهي المدينة الإدريسية ذات الأهمية العلمية والشحنة

الروحية القوية ...وقد استوطن رضي الله عنه فاس و أقام بها زاويته المباركة الشهيرة ومكث بها الى ان وافته المنية يوم الخميس السابع عشر من شوال 1230 هجري الموفق 1815ميلادي و عمره ثمانون سنة، ودفن بها. للمزيد عد الى الرابط التالي: http://www.tidjaniya.com/ar/sidi-ahmed-tidjani/vie-sidi-ahmed-tidjani

38813-**Revue Africaine**, N° 37, Op.cit. , pp 386 -

14-**Idem**, pp 388- 390

15--**Idem**, pp 390- 396

16- **الناصر بن شهرة:** أو بن ناصر بن شهرة قائد وزعيم ومقاوم للاحتلال الفرنسي خلال القرن ال19م. ينتمي إلى قبيلة المعامرة والحجاج الذين ينتمون بدورهم إلى الأرباع. ولد عام 1804. هو شيخ قبائل الأرباع بنواحي مدينة الأغواط، ذلك الرجل الذي دام كفاحه ضد الاحتلال الفرنسي أكثر من أربع وعشرين سنة (1851-1875م). أنظر للمزيد الموقع التالي:

http://www.sidielhadjaissa.com/article-1-124929575.html

-**Revue Africaine**, N° 38 ,Année 1894, pp 79-80.17

18- للمزيد حول هذا الحصار وتفاصيله أنظر نفس العدد، ص ص 80-83.

19- أنظر تفاصيل ذلك في العدد نفسه، ص ص 83-85.

20- **ماري مونج**: MAREY-MONGE (Guillaume-Stanislas, comte de (Péluse . جنرال فرنسي، كان طالبا في المدرسة المتعددة التقنيات Polytechnique، وشارك في الدفاع عن باريس في عام 1814. أصبح ملازما في عام 1824، ثم ضابطا في عام 1826 ، شارك في الحملة على للجزائر العاصمة (في معركة سطاوالي في 19 جوان 1830). ترق الى رتبة عقيد عام 1834، وقائدا لفرقة الصبايحية Spahis عام 1837... نشر مذكرات مشهورة حول الحملة على الأغواط ، (حيث لعب فيها دورا هاما). طُبع هذا المذكرات في الجزائر العاصمة، سنة 1846. وقد أصبح جنرالاً في عام 1848. كما تقلد منصب سناتور في عام 1863 سنة وفاته. أنظر،

L'Annuaire Historique et Biographique de Souverains...Archives Historiques Rue Richelieu,95, Paris 1844.

21-**Revue Africaine**, N° 38 ,Année 1894, pp 86-96.

22- **الجنرال يوسف**: Valentini Joseph, dit Le Général Yusuf ولد في جزيرة إلبا من أب كورسيكي (كان مجندا في خدمة نابليون الأول) ، وقد تربى حتى سن الثالثة في بيت بولين بونابرت. وقد تم اختطافه من قبل القراصنة في بيومبينو Piombino ، ثم بيعه إلى داي تونس ، حيث نشأ في سرايا القصر. في عام 1830 تمكن من الفرار والانضمام إلى القوات الفرنسية التي هبطت للتو في الجزائر العاصمة. وتم تعيينه على مقاطعة المدية... في عام 1852 قاد حملة ضد الأغواط للسيطرة عليها، وأراد مهاجمتها بمفرده، لكن لم يكن لديه سوى 1500 رجل فقط ، مما جعلة ينتظر قدوم الفرقة العسكرية التي يقودها الجنرال بليسي القادم من مقاطعة وهران، الذي قضى على الواحة ودمرها ، لكنه لم ينس ذكر يوسف الذي كان ضابطًا كبيرًا في جوقة الشرف. أصبح يوسف جنرالًا في الجيش الفرنسي ، مشهورًا بقسوته مع رجاله ومع الجزائريين... لمزيد أنظر الى الموقع التالي:

http://babelouedstory.com/voix_du_bled/yusuf/yusuf.html

23- الدوق أومال: Duc d'Aumale (Henri d'Orléans) ولد في 16 يناير 1822 في باريس وتوفي في 7 مايو 1897 في إيطاليا، ينتمي الى عائلة أورليانز، ابن الملك لويس فيليب. عسكري وسياسي فرنسي. كان من أبرز المحافظين وتقلد منصب حاكم عام على الجزائر، وشارك على هذا النحو في استسلام الأمير عبد القادر في ديسمبر 1847. أنظر عنه أكثر من خلال الموقع التالي:

https://fr.wikipedia.org/wiki/Henri_d'Orl%C3%A9ans_(1822-1897)

- **Revue Africaine**, N° 38 ,Année 1894, pp 96-97.24

25- سي موسى بن الحسن المصري (الملقب ببوحمار)، ولد بمصر.. وبعد زيارة قام بها الى سوريا وإسطنبول، أتى الى الجزائر ثم ذهب الى إلى طرابلس، حيث التقى بـ سي محمد بن حمزة شيخ الطريقة الشاذلية، واعتنق أفكارها، التي رأى بأنها لا تختلف عن الطريقة الدرقاوية، إلا في كون الأولى قديمة وانتشارها في تونس وطرابلس أكثر ، في حين أن الثانية لها صدى واسع في الجزائر. في 1823 حل سي موسى بالأغواط واستطاع أن يجمع عدد كبير من المريدين، وكذا بالنسبة لأولاد نايل، حيث أسس زاوية بمسعد. في 1845 دخل في صراع ضد الأمير عبد القادر، وقاد حملة ضده واستولى على المدية، وخاض الطرفان معركة دموية بالقرب من جبل موزاية انتهت بانهزام سي موسى، مما جعله يلجأ الى مسعد ثم الا الأغواط واستمر في تجنيد الأتباع بالزاوية

الدرقاوية... تذكر المصادر أنه استشهد مع بوزيان في الزعاطشة سنة 1849. أنظر: المجلة الإفريقية العدد 38، الصادر سنة 1894، ص ص 97-98.

- **Revue Africaine**, N° 38 ,Année 1894, pp 97-98.26

27-Revue Africaine, N° 38 ,Année 1894, pp 98-99.

28- **لادميرول**: **Louis René Paul de Ladmirault** (1808-1898) جنرال فرنسي شارك بفاعلية في غزو الجزائر وحروب الإمبراطورية الثانية. أصبح ملازما في 1832 . ثم ترقى الى رتبة ضابط عام 1837 وقائدا لفوج الزواف Zouaves. قاد الحملة الأولى على قسنطينة التي انتهت بانهزامه. في عام 1841 أصبح قائدا على دائرة شرشيل ، ومنها قاد حملة بني مناصر سنة 1842... تولى قيادة مقاطعة المدية عام 1848...للمزيد من المعلومات عد الى الموقع التالي: https://fr.wikipedia.org/wiki/Paul_de_Ladmirault

- **Revue Africaine**, N° 38 ,Année 1894, pp 99-101.29

30--**Idem**, p 101- 105.

31-**Idem,** pp 105-108.

32- هو محمد بن عبد الله من أولاد سيدي أحمد بن يوسف فرع قبيلة أهل غسول قرب عين تموشنت، وبعد احتلال تلمسان في أواخر شهر ديسمبر 1841 حمل لواء المقاومة ضد الفرنسيين لمدة تقارب 30 عاما... وأصبحت ورقلة فيما بعد مركزا لنشاطه، وبعدها فكر في الاستيلاء على تقرت وانضم إليه سكان متليلي...غادر بعدها إلى جبل عمور لجمع المزيد من الأنصار. وللقضاء على حركته قام الجنرال راندون بتجنيد 3 فرق كبيرة لمحاربته، فاشتبك معه في معركة عين الرق وقتل من الفرنسيين حوالي 200 رجل فاستقبل في الأغواط بعد ان فشل في دخولها من قبل، وأظهر بطولة فائقة في الدفاع عنها، وقصورها خاصة بعد انضمام الناصر بن شهرة، إلى أن سقطت يوم 1852/12/4. توقف نشاط محمد بن عبد الله إلى غاية فيفري 1853 حين حاول استرجاع الأغواط إلا أنه فشل بعد اشتباكات ومعارك في بريزينة والرويسات... للمزيد أنظر، الشريف_محمد_بن_عبدالله ضمن الموقع التالي: الشريف_محمد_بن_عبد_الله/https://ar.wikipedia.org/wiki

-**Revue Africaine**, N° 38 ,Année 1894, pp 273-284.33

34- **المارشال راندون** (جاك لويس..) Randon - قيصر ألكسندر راندون: ولد في مدينة غرونوبل في يوم 27 مارس 1795 ، التحق إلى رتبة ملازم أول ، ثم قائد سرب في 1830 ، مارشال فرنسا سنة 1856 ينتمي إلى عائلة بروتستانتية، عينّه لويس نابوليون خليفةً للجنرال ألفونس هنري دوتيو ليصبح لاحقا حاكما عاماً على الجزائر... عاصر الكثير من الأحداث منها المقاومة في الأغواط التي قادها ناصر بن شهرة والشريف بو شوشة والشريف محمد بن عبد الله... مات بجنيف سنة1871، للمزيد عد الى الرابط التالي: https://fr.wikipedia.org/wiki/Jacques_Louis_Randon

.344-33035-**Revue Africaine**, N° 38 ,Année 1894, p